الإعلام بين تيهان الحداثة ورشد الأدب

The media between the decline of modernity and the maturity of literature

أ.د مفيدة بلهامل

كم سيحتاج الأمر من زمن غالي –أكثر وأطول - حتى يستفيق الوجدان الحي للادب في العالم العربي والاسلامي من غفوة التيه المستحق ، فمنذ ان تلقف العرب الحداثة ووفدها البراق وهم يتهاوون من واد الى واد اسحق منه ، دون ان ينتبه من ركنوا انفسهم على حساب هذا الوافد الجديد الى الساحة ،انه انما انشغل بكل نشاط منذ البداية في تفكيك اوصال كل ما رسخه الزمن العربي والاسلامي من جميل في الكلم نثرا وشعرا وكرسته القرون في الذاكرة واللسان والواقع والمصير ،بل وراغ إلى القواعد والقوافي والأسس ضربا بعرض الحائط بعبثية غير مسبوقة وبسباق محموم ضد الزمن عله يكمل المهمة المستحيلة ،،، مهمة التهديم الداخلي تضاهي في أهدافها "البريسترويكا " لكنه هنا بأيد عربية وفي الارض العربية ، وتعملق الذين تدثروا بالحداثة التي لا تقف على معنى صلب الى حد الآن ،،،وهم أنفسهم من لبسوا لباس التقدم والتطور من قبل ، تعملقوا عبر المنابر ومكبرات الصوت الإعلامي الذي خلا لهم وانحصر فيهم ولهم ،،،يبوقون ويزينون ويبررون ثم ينالون نياشين الجوائز والتبريكات وهم لا يعلمون طيبة او غفلة او قصدا منهم –أو قل ما تشاء -انهم انما انضموا إلى الذين –يعيثون في ارض العقل والجمال فسادا وهم انما فقط حطب لتلك المحرقة في مجال الأدب والفكر في بلاد الاسلام لتكتمل بهم المحرقة العامة ،،، فمهندس الحداثة يريدها كاملة شاملة عامة

فكيف زين الاعلام مبشرات الحداثة – هذا الوافد العجيب - في بعض مجالات الأدب عبر حلقات من الزمن المتلاحق ، وكيف جعل لها الصدارة وفصل الخطاب ،، حتى كاد يدعو الى تقديسها ،،، ذلك ماتحاول المداخلة طرح بعض شعابه بالتوقف عندها والتنبيه الى زوايا الغلو فيها وآثار ذلك في الراهن المنكوب بكل المقاييس و تدعو الى ان التوبة من الحداثة مفتوح دوما تماما كالتوبة من كل الذنوب

Summary

How much time will it take - more and longer - for the living conscience of literature in the Arab and Islamic world to wake up from the slumber of a well-deserved wandering? Since the Arabs caught up with modernity and its shining delegation, they have been falling from one valley to another, without paying attention to those who have supported themselves at the expense of this newcomer. What is new to the scene is that he has been busy with every activity from the beginning in dismantling everything that the Arab and Islamic era has established, whether beautiful in speech, prose or poetry, and which the centuries have enshrined in memory, tongue, reality and destiny. Rather, he has neglected the rules, rhymes and foundations, throwing them to the ground with

unprecedented absurdity and a feverish race against time. Perhaps he will complete the impossible mission. The mission of internal demolition is similar in its goals to "Perestroika," but here it is in Arab hands and on Arab land, and the blindness of those who have been cloaked in modernity that has no solid meaning yet, and they are the same ones who wore the garb of progress and development before. They amplified through the platforms and loudspeakers of the media that was empty for them and confined to them and to them. They trumpeted, decorated, and justified, and then received medals of awards and blessings, not knowing their kindness, negligence, or intent - or say what you want - that they had only joined those who were wreaking havoc in the land of reason and beauty. They are merely firewood for this holocaust in the field of literature and thought in Islamic countries, to complete the general holocaust. The architect of modernity wants it to be complete, comprehensive, and general.

How did the media adorn modernity, the heralds of modernity - this strange newcomer - in some areas of literature over successive episodes of time, and how it made them the forefront and the center of discourse,, to the point of almost calling for its sanctification,,, This is what the intervention attempts to present some of its branches by stopping at them and alerting to the corners of exaggeration In it and its effects on the present that is afflicted by all standards, it calls for repentance from modernity to be always open, just like repentance from all sins.

Pr/ Moufida Belhamel

عناصر المداخلة

أولا :مدخل للعبرة والفهم

ثانيا "الحداثة" المخلوق العجائبي المتسلّل إلينا

ثالثا : الحداثة ونية التهديم العابر للحدود

رابعا : ما عجزت عنه الحداثة مع الأدب الاسلامي طبقته مع الإعلام الاسلامي

خامسا : بين العلاقة بين الأدب الإسلامي والإعلام الإسلامي ، من حضن الكلمة إلى منبر التبليغ والتعبير

خاتمة مفتوحة : وحداثة المدفع والنار

أولا : مدخل للعبرة والفهم

وفي اواسط القرن الثامن يتم الإعلان في فرنسا عن مسابقة لكتابة بحث للإجابة عن تساؤل مفاده "هل تقدم العلوم والفنون أدى أو يؤدي إلى نقاء الاخلاق او فسادها ؟ " وقد فاز فيها شخص مغمور أصبح بهذا البحث أشهر من تفتخر بهم فرنسا وأوروبا الأنوار من الفلاسفة هو "جون جاك روسو " –وهو نفسه من الذين يعتبرون من أنبياء الحداثة وسدنتها -ويفيدنا السؤال والانشغال والرجل والهدف القريب والبعييد أن هناك إحساس مبكر أن التقدم في الإعلام يؤدي إلى فساد في الأخلاق

وبعده بقرن تقريبا ، وفي منتصف القرن التاسع عشر وتحديدا سنة 1844 أصدر كارل ماركس وزميله انجلز –le manifeste comuniste –"البيان الشيوعي "سألته الصحافة عن أن "الالحاد الذي تدعو الناس اليه ، سيحدث فيهم فراغا روحيا ونفسيا فبماذا سيملؤونه ؟ قال : ألهوهم بالفن " ، ونعلم ان ماركس هو صاحب مقولة الدين أفيون الشعوب ،فهو قد استبدل أفيونا بأفيون وهذا في زمن حرب الافيون التي سلطتها التاج البريطاني على الصين وحولته هناك من المنع الى الرواج والاستهلاك الجبري على الصينيين ظلما وغطرسة

والفن يولد فكرة ونصا وأدبا ، وإذا كانت عبقرية الأدب تتأتى من مدى قدرته على مدّ الإنسان بكل ما يحتاجه من أجوبة في سؤال الحياة .وسؤال الموت وسؤال المصير كأكثر الأسئلة ورودا في العقل الإنساني باختلاف الجنس والنوع. فإن الإعلام بالعبقرية نفسها وبالأجابات نفسها وبالأهداف نفسها ، أي أدب وأي إعلام هذا الذي نراه بهذه العبقرية ونرفع رسالته إلى تحقيق تلك الأهداف ،والبيان الإلحاد الشيوعي لماركس قد احتفلت به أوروبا -والغرب عموما -، وأصبح عبرها بيانا في كل المستعمرات في المحصلة

المتعمق في قراءة الحركة الادبية ثم الحركة النقدية العربية الاسلامية لاحقا يمكن ان تستوقفه ثلاثة اتجاهات محدّدة المعالم يمكن ان تعنون على التوالي ب : الإنية والمخضرمة والمتغرّبة ، وإذا كانت الإنية منها تصب في الأداة والمضمون والأسماء والمحضن العربي الاسلامي نفسه

وجاءت كمرحلة لاحقة لمدة طويلة من الإبداع فصنّف ماهو موجود ووصف ماكان مكتوبا ، ويستجيب لضرورة التقويم والتقييم كضرورة صحية وحيوية تمهيد ا للجديد والمراجعة والتجديد ،و أخذا بعين الاعتبار معطيات الراهن من الحقائق في كل المجالات ، فصنفت المدارس العربية وركزت على أن تشرح كيف أثر الإسلام في الحياة الأدبية والعلمية والانسانية في البيئة العربية ، وهو ما انعكس على الإنتاج الأدبيّ في الشعر والنثر في تفاعله مع البيئة المحيطة التي انتقلت بكليتها من الجاهلية الى الاسلام فكانما هي خلقا جديدا ،،،

فكما قضى الإسلام على الوثنية والأصنام فقد تم القضاء في المحصلة على كل الفنون والأغراض الجاهلية المرتبطة بها ، وظهرت فنون أخرى تدور معانيها حول المُثل والقيم الإسلاميّة وتبرزها، وأصبحت القصائد الشعرية خالية من ألفاظ الفتنة وبعيدة عن عبارات الإفك،كما أصبحت ملامح التعاليم الإسلامية منعكسة على كل من الشعروالنثرلا يخرجان عن أوامرها ونواهيها ولا عن حلالها وحرامها ، وكذلك كان بالنسبة للحياة العلمية كافة في العصورالاسلامية المتلاحقة ،مواكبة لها تصفها وتعتزبها وتنتمي إليها ، وجاءت في اطار هذه الرؤية تصنيفات المدارس الاسلامية كمدرسة الحجاز والشام والعراق[1]

وتميزت خصائص هذا الاتجاه في التركيز على الذخائر والفضائل والأصالة وعلى إبراز الجهود وحقيقة التغيرات في الحياة الاسلامية التي تجعل القارئ يمتلئ بالانتماء ويتعايش مع الحقائق ويربط بين الأسباب والمقدمات والنتائج

واستمرت الحركة النقدية العربية –الإنية – لا تخرج عن هذه الضوابط العامة والخطوط المحدّدة التي لا يتخطاها إلاعاص أو صعلوك حتى نهاياتها المفروضة–في عشرينات القرن العشرين تقريبا –أين حل بالعالم العربي الاسلامي ما وصف بعصر النهضة التي اتخذت طابعًا لغويا وبيانيًّا واهتمت خاصة بالمقاييس اللغوية والعروضية والبلاغية ، وجاء في إطارها مناهج التصنيف للأدب في العالم العربي والاسلامي كالمنهج التاريخي مع بداية القرن العشرين، والذي ربط بين ازدهار السياسة وازدهار الحياة الأدبية، والمنهج الفني الذي قسم الأدب العربي بناءً على الأغراض الفنية وخاصةأنماط تشكل نظرية الأدب، والمنهج التأثيري الذي يعتمد على الجمال والذوق والأحكام الانطباعية المبنية على الخبرة والمفاضلة الذاتية ،والمنهج الجمالي الذي اهتمّ بالمقومات الجمالية للنص الأدبي[2]

أما الحركة النقدية العربية الوسيطة أو -المخضرمة - فقد مرت كان لم توجد قط يمكن ربطها بفترة والخروج العسكري الاستعمار من عى ارض المسلمين ،وكانت المرحلة جسرا ضيقا زمنيا استغرق في تلقف ارهاصات التوجهات الجديدة الغربية بفرضها وانتقالها الجبري او التسللي كأمر واقع للاستعمار الفكري والثقافي والتعليمي والمؤسساتي ، الذي حل محل

[1]- الحركة النقدية عبر العصور الأدبية المختلفة - أسماء أبو حديد - 6 أكتوبر 2022 ، أنظر موقع : https://mawdoo3.com ، تاريخ التصفح : 9 -2- 2024

2 - النقد العربي الحديث والمعاصر"، ديوان العرب، تاريخ 08 التصفح /2024/2. بتصرّف

العسكري البائد ،والتي لم يكن لها من القدرة ان تقيم او تقوّم ، وربما أحسن ما نصفها به هو موقف من كان تحت الصدمة ، صدمة هول ما تبشر به وما ستواجهه من جهة وعدم القدرة على المواجهة استحالة او منعا في تلك الظروف الصعبة من جهة أخرى ، فرياح الحداثة كانت عاتية قاصمة ، لأنها ما فتئت أن تجاوزتها بل واختطفتها المرحلة التالية وهي المتغربة التي تجاهلت الاولى بل وعملت على دفنها بجزة قرار ، لتفرض اتجاها في النقد والمنهج لا يمت بصلة للنقد العربي ولاعلاقة له بالمخ ولا الفكر ولا الواقع ولا الروح العربية الإسلامية فكانت عملية الاختطاف للجوهر رغم ان المتواجدين على المسرح كانوا ممن تدثروا بلباس هذا الوافد الغريب الذي بدا متسللا وانتهى به المقام الى موقع الآمرالناهي في ساحة الادب والفكر والمفتي لمايصلح ومالا يصلح وما يجب وما لا يجب تهديمه في المحصلة ، ليبدو الامر ان المسالة ليست حركة نقدية في مرحلتها المتأخرة كما كان من المفروض أن تكون لو استمرت الظروف بيد اصحابها واهلها واتباعها وإنما كانت زلزالا أريد به الكفر بكل شيء كما كانتها في الغرب –الاستعماري -تماما بتمام والذي حمل العنوان الجديد الذي صكه لنفسه ولهج به من صنعهم على عينه –الغرب الحداثي المتقدم المتطور وفي المحصلة المبهر من كل الوجوه – "بلاد الجن والملائكة "

وتستأنف الحركة الأدبية الجديدة – المصنوعة على عجل الانبهار المعسول في الوطن العربي الاسلامي ،مدفوعة برغبة واعية في قلب الأساليب التقليدية للتمثيل والتعبير عن الحساسيات الجديدة للعصر، وعلى منوال وشاكلة ماظهرمنها في البلاد الاوروبية مع اختلاف كبير لا يتم التطرق اليه في الاختلاف الصارخ بين ما عاشته النخب الاوروبية من أهوال و شهدته من فظائع الحرب العالمية الأولى(1914-1917) ثم الثانية (1939- 1945)[3]والتي دفعها منطقيا هناك إلى إعادة تقييم الافتراضات السائدة بشأن المجتمع والمرتبطة بالكنيسة رمزا ونصوصا وانتماءا وعزلا

وقد تميزت الحركة الأدبية الغربية بانفصالٍ واعٍ للغاية عن طرق الكتابة التقليدية في كل من الشعر والخيال النثري وكذلك نسجت الحركة النقدية في العالم العربي والاسلامي او كذلك أمرت ان تفعل

وقد جاءت تياراتها وعناوينها ومناهجها مجردة فارغة من أي روح في مضامين العناوين كما في المحتوى ،و لم ينتبه اليها المتابع الا بعد ان تم تبيئتها في الساحة العربية الاسلامية بمحتواها الغربي الخالص بشقيه الايديولوجي اللبرالي والاشتراكي ، كالبرناسة ، والواقعية ، والرمزية ، والرومانسية ، والوجودية ، والتعبيرية والدادية والسريالية والعبثية والشيوعيي ،و الاجتماعي، ، و المنهج المادي الجدلي، ثم البنيوية، والبنيوية اللسانية، والبنيوية التكوينية، ثم المنهج النفسي والمنهج الأسطوري، ونظرية القارئ، والمنهج التفكيكي، والمنهج التأويلي، والمنهج الأسلوبي، وغيرها لاحقا

[3] -"Various Types of Literary Analysis"، schoolworkhelper, Retrieved : 9/2/2024

و قد وضعت كلها تحت العنوان الكبير الحركة النقدية الأدبية لكن غاب عنوان الانتماء العربي الى العنوان المهيمن المجرد وسميت كلها بالحداثية والتي بها اصبح ينظر الى المناهج التي سارت عليها الحركة النقدية في العالم العربي من قبل على انها تقليدية وكلاسيكية وعتيقة تبريرا لنزع الجدارة والاستحقاق عنها ،وتمهيدا بل وتبريرا لشرعنة الاسس الجديدة التي يفترض بل ويلزم باسم الحداثة ان يلتزم بها الجميع حتى يتم الاعتراف والاهتمام بها وبرسلها أو سدنتها الجدد ولتصبح المنطلق والهدف ، وكذلك كان في كل المجالات في الحياة الاسلامية الاقتصادية والاعلامية والسياسية والفنية وغيرها التي كان الأمر الواضح هو ان تحصر في عنوان عربية فقط دون الاسلامية وفي كل المجالات ،وليتم الترتيب لعملية الاحتلال الناعم والتغيير الجذري لاستيراتيجية تغيير الذهنيات والتحييد المنهجي والمدروس للذات الاسلامية بالفصل بينها وبين إرادة الانتماء كلها الا ماكان منها يصلح للتوظيف والاستغلال لتحل بديلا لها

والعجب الذي لايستطع الملاحظ هضمه أو فهمه هو أن تركز مناهج النقد الغربية الاولى على شكل القصيدة العربية الخارجي من خلال الدعوة ثم تبني الشعر الحر أو شعر التفعيلة، ثم تم التطرف الى قصيدة النثر . لكن الاستجابة تجاوزت شكل القصيدة - المنجز - إلى أن تشمل الحلم العربي برمته الذي سينكص بقطيعة نهائية ليوجه قبلته إلى أحضان الغرب الاستعماري ولتظهر موجات الحداثيين الذين رفعوا معاول الهدم في كل اتجاه.والعجب الأكبر أن هذه الموجات أو الجيوش من الحداثيين سيطلق عليها النخب والأنتلجانسيا وغيرها من أوصاف الأحق بالاحترام والأجدر بالاتباع من خلال الثقافة والأدب والنقد والفلسفه، وصاحب ذلك محاولة إحداث قطيعة مع كل ما يمت بصلة مع التراث العربي الإسلامي فكرا وتاريخا وثقافة وأدبا ونقدا..عبر المنابر الجديدة التي تسكن في بلاد العرب أرضا لكنها تسكن الغرب بضاعة ،والأعجب من كل ذلك أن توضع كل هذه التغيرات بمناهجها الغربية المتغربة تحت عناوين النهضةوالتحديث والتجديد والحداثة وقد بدأت بمقالات الصحف المجلات والكتب ومرّت الى القنوات التلفزيونية بعد أن دخلت المناهج من الابواب الواسعة وتحتكر كل المنابر لاحقا

هذا الحال الضبابي الذي مكن "للحداثة "التربع على السمع والبصر في العالم العربي والاسلامي ،والذي أصبح المعبود الجديد هو ما يعنونه العارفون المسلمون بالغزو الفكري وبعضهم فيما بعد بالاختراق الثقافي وهو أحد أذرع النظام الاستيطاني العالمي بمعية الاستشراق والتنصير في مراحله المتقدمة قبل أن يصل إلى مداه مع نهايات القرن العشرين وهذه المرة ليشمل العالم بأكمله بما أصبح يعرف بالنظام الدولي المتوحش و "العولمة الثقافية " و"نهاية التاريخ "[4] لكن في العالم الاسلامي تحديدا كما نظر لذلك "هنتقتون" في "صدام الحضارات "

ثانيا :"الحداثة" المخلوق العجائبي المتسلّل إلينا

[4]- لفرنسيس فوكوياما الامريكي ذي الاصول اليابانية

نجد من يؤرخ لبدايات التحول الى الحداثة في العالم العربي والاسلامي بسنة 1949 ومنهم من يربطها بنكبة 1967 في مجال الادب خاصة والجانب الشكلي من القصيدة العربية تحديدا ، حيث ظهر ما سمي بالشعر الحر أو شعر التفعيلة وحمل لواءها في ذلك اجيال من الادباء رصدهم بعضهم من كل البلاد العربية –العراق – سوريا – السعودية – لبنان – فلسطين -بداية من بدر شاكر السياب، ونازك الملائكة العراقيين، صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي، نجيب سرور، وفاروق شوشة، وكمال عمار، ومحمد الفيتوري، وبلند الحيدري، ونزار قباني، أمل دنقل، وحمد عفيفي مطر، ووفاء وجدي، وسليمان العيسى، وخليل حاوي، ومحمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زياد.

واتعجب فيمن يتناول موضوع الحداثة الذي فيبادربطيبته المدرسية إلى بحث معناها في اللغة العربية ويبذل الجهد في حفر معناها كما يقول مستخدما المصطلح العزيز على الحداثة والحداثيين نفسه– فعل الحفر – ظنا منه أنه سفوز بالسمين الثمين

فاللغة العربية بريئة من الحداثة وحفرها وحفرياتها ، والحداثة كسائر الكلمات الوافدة من المحضن الفكري الصهيوصليبي – ولا أقول اليهودي المسيحي لأنها لاوجود لها فيهما ،و هو مايحتاج حفره عندهم والتنقيب عن اصوله في اصولها- ولا يمكن ربط علاقة بينه وبين الكلمات والمصطلحات العربية : التجديد والتحديث والمعاصرة في معانيها التي تفيد الانتقال الهادئ الواعي المستقل ضمن المحاضن نفسها وبعقول المنابع نفسها عبر مراحل متلاحقة من فعل التجديد والتحديث والمعاصرة بما لايمس الاسس والمباني والمبادئ والمنطلقات التي ينطلق بذل المجهود لتحقيق تلك الطموحات منها وينتهي اليها .

والحفر الذي اتبعه هؤلاء انتهى الى معنى الحدث اي الصغير، او هي نقيض القديم واول الامر وابتداؤه ، واول العمر، والابتداء من الصفر والعودة اليه ،ويمكن ان نستنتج منه بناء على ذلك وليس بناء على تبني التعريف اللغوي غير المبررللحداثة في العربية هو استئناف فعل التفكير من البداية ومن الأبجدية لكن الانطلاقة من الابجدية الغربية المحضن والمآل ،ويعني تحت توجيه واملاء وتلقين الارادة الاخرى ، فانعدام النضوج الفكري والحاجة دوما الى العقل المدبر الغربي للاخذ بيد العرب ولاحقا المسلمين ومرافقتهم في ذلك النضوج ربما هو المعنى الوحيد المستنتج من المقاربة اللغوية المعلولة

اما الحداثة في حقيقتها فهي مصطلح إيديولوجي نشأ تبعا لظروف وملابسات وسياق حضاري عاشه الغرب الأوربي، -في اوروبا ارض وشعوبا وظروفا - وهو في الوقت نفسه مذهب أدبي وفكري ، والبعد الفكري فيه جلي لأنه لا يستهدف الجانب الأدبي الإبداعي فحسب بل ينسحب أيضا على كل جوانب الواقع الإنساني

إنه في نشاته الغربية دعوة للتمرد على الواقع بكل أشكاله السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، كما إنه كما يقول محمد هدارة نقلا عن بعض الباحثين الغربيين"زلزلة حضارية

عنيفة، وانقلاب ثقافي شامل، وأنها جعلت الإنسان الغربي يشك في حضارته بأكملها، ويرفض حتى أرسخ معتقداته الموروثة "

المحصلة الحداثة هي ان ما وصله العقل الغربي من عبثية وشذوذ هو ذاته مايراد ان يصله العقل المسلم ولابد ان تقود هذه الرحلة التقهقرية نخب تسمى باسماء مسلمة لكنها تحت ادارة رسل الحداثة الغربيين ليشهدوا عند خط الوصول على نجاح عملية المسخ العام

والحقيقة ان هناك خلط مقصود او غير المقصود بين ثلاث مصطلحات اجنبية ترجمت كلها بمصطلح واحد في اللغة العربية ونقلت اليها وهي الحداثة(modernism)

فمصطلح "التحديث"(modernization) وكذا "المعاصرة "(modernity) يعني كل منهما إحداث التجديد والتغيير في المفاهيم السائدة المتراكمة عبر الأجيال نتيجة وجود تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه اختلاف الزمن. وهو ما يتماشى مع الواقع و الاتجاه الفكري السليم ، وهو ماسارت عليه الحركة النقدية العربية حتى عصر النهضة او ما سمي كذلك ،ولكنه لا يتفق مع مصطلح "الحداثة " modernism الذي يختلف عنهما تماما

لأن مصطلح "الحداثة "(modernism) هو امر آخر تماما و يعني مذهبا أدبيا ، انتهى الى نظريه فكرية لا تستهدف الحركة الإبداعية وحدها ، بل تدعو إلى التمرد على الواقع بكل جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية . . . وهو المصطلح الذي انتقل إلى أدبنا العربي الحديث ،بالخلط الذي يتضمنه ، ثم تحول الى عنوان التنوير ليزيد على غموضه غموض اكثر وأعم

والحق، أن الحداثة الغربية الفنية والأدبية بدأت منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر واستمرت حتى الآن -ومازالت هي القاعدة والمنهاج والرسالة والهدف -، وهي فترة قدمت للتراث الأدبي والفني في الغرب اتجاهات ومذاهب فنية ومدارس أدبية التي انطلقت كلها من موقف الرفض الحداثي لمعطيات الحضارة الغربية والأزمة التي أوصلت إليها إنسان العصر الحديث.

ويجب ان ينطلق القارئ لطروحات آباء الحداثة في الغرب انفسهم ليفهم ويدرك ويعيد التاسيس للانطلاقة المستقلة السيدة وهذا هو المطلوب فرديا وجماعيا ، والاجابة عن تساؤل من الاحق بالاتباع والانتماء والتلقي هو الفيصل في توجه وتوجيه كل التساؤلات والاجابات

فرؤوس نظريات المعرفة وهم أنفسهم رسل الحداثة وسدنتها ينطلقون اما من العدمية او من عموم البدائية في الانسان والكون او اخيرا من التركيز على احادية الطبيعة الحيواني في الانسان ،ف "كارل يونغ" -1875) 1961) يمجد الطبيعة الحيوانية للانسان التي تدفع الى كسر القواعد الاجتماعية ،وكيف لا وهو قد انطلق من فكرة ان الفرد هو في الاساس فاقد للوعي ومليء بالنزعات البدائية والقيود المفروضة ذاتيًا التي سيقتلها العقل الجماعي الواعي ، فهل

مجموع التائهين ينتهي الى وعي ؟ و تجريبية "جون لوك "(1632- 1704) قبله تبدا من ابجدية الفراغ والصفحة البيضاء أو اللوحة الفارغة للحياة والكون ومن ثم فالانسان هو من يضع القواعد لنفسه بنفسه [5] بينما يعيد عمل تشارلز داروين صياغة المفهوم الأرسطي «الإنسان، الحيوان» ويجتمع مع يونغ في أن الدوافع البشرية نحو كسر القواعد الاجتماعية ليست نتاجًا للطيش أو الجهل، بل هي مستمدة من الطبيعة الأساسية للحيوان البشري .

ثالثا : الحداثة ونية التهديم العابر للحدود "الأذرع والهدهدات الخفية "

والحداثة في الغرب تماهت تماما منذ بداياتها مع معاني «العبث والفوضى» وعبرت عن خيبة الامل وترجمت انعكاساتها الوجودية للانسان الغربي الذي لم تسعفه كتابات الفلاسفة ولا نصوص عقائده – هو فقط وليس غيرها من العقائد - قبل فظائع الحرب الاولى ولا التي بعدها في الاجابة عما يملأ جوعه الروحي ولا فقره الاخلاقي في واقعه الذي لخصته الفظائع الدموية التي عايشها وعاشها (بين 10و15 مليون قتيل في الاولى وبين 50 و60 مليون قتيل في الثانية)ببشاعة وعبثية فظيعة ، ومارافقها من وقائع وفظائع الاغتصاب والجوع والظلم والحاجة والانفلات من كل معنى انساني وجميل وهو ما يرسم منطق المادة الانسانية وربما يشرعن ما يخرج منها من توجهات ومواقف وسلوكات للانسان الغربي في تعبيره عن كفره بكل ما كان يحكمه من عقائد وافكار التي اثبتت لاجدواها وهمجيتها في اقرار وضع مريح وآمن فقرر الكفر بل والتهديم لكل ماسبق فلما تظهر "الحداثة " (modernism) كمذهب ومنهج وتوجه وفلسفة للتعبير عن ذلك الكفر ومباشرة ذلك التهديم يجب التوقف للتساؤل المشروع عن لماذا وكيف تم تبيئتها وشرعنتها بالسهولة التي تمت بها في عالمنا العربي والاسلامي

والاجابة هونتيجة زمن ما بعد الاحتلال لكل الدول الاسلامية وتمام عمليات التفريغ لمراكزالثقافة والتلقين وقتل وتحييد العلماء وتغييرهم بمن تم تربيتهم على عين الكنيسة ويد مخابر الاستشراق ومنظوماته

وليس من الغريب ان ترتبط هذه المراحل بالذات بظهور نظريات الدعاية والاتصال السياسي ونظريات التاثير وغسيل المخ ونظريات الاقناع في الغرب التي كان وراءها فلاسفة الحداثة ودعاتها والتي تلخص عمليات الالغاء والتجفيف والتعطيل والابدال لمادة الانسان المسلم في هذه المرحلة بانسان عربي اخر مادته قابلة للتطويع تائهة منبهرة ذليلة مطواعة تم- بها- بوضعها في مناصب المسؤوليات وبواسطتها لبوق التغييرات الاجرائية المتلاحقة المستمرة المتواصلة عبر عائلات متناسلة في المادة العرقية أوالوظيفية منتقاة لاداء المهام في كل مجال من مجالات بناء المؤسسات والدول

[5]- (مقالة عن الفهم الإنساني، 1690).

فالحداثة نتيجة واقعية للتاريخ من الانفلات من البديهيات الدينية والمسلمات الاخلاقية المستمدة منه وارتبطت بالتاريخ الاوروبي والغربي كفضاء جغرافي وعلاقته بانسانه الابيض اللون والملامح والذي لم يكن باي حال من الاحوال مقبولا فما بالك تبني ثم تبيئة ثم تبرير ثم اعتماده دون غيره

وقد باشرت الحركة النقدية الحداثية في البلاد الاسلامية منذ البداية بالتركيز على ضعف الادب في صدر الاسلام،ثم افراغ عناوين الاغراض الاسلامية وسردها بطريقة مدرسية بسيطة ، ثم مرحلة تكسير التابوهات -الدين والجنس -ليس في مجال الادب وحده وانما في كل المجالات التكوينية والابداعية والسلوكية للانسان

ثم انطلقت الى سحب البساط الحضاري الاسلامي تحت اقدام المسلمين لإحلال المعلّب الوافد "الحداثة "بدلا عنه ...والذي سيشرع في صنع السردية الحداثية بتقعيد موجة المناهج الحداثية وإعطائها الصدارة والجدارة بعد الالغاء والتعطيل القسري ، والاتهام بالضعف ثم بالتخلف وانتهت إلى تجريم الادب الاسلامي ووضعه في قفص الاتهام وتحميله عبء وجوده فهو مطالب بالتلاشي والموت الاختياري وهو ما يفسر ظهورعناوين الادب المقاوم ، والوطني والملتزم بدلا -عن - ولإخفاء عنوان الادب الاسلامي تماما المرفوض والمتهم والجاني المستدام في أرض الحداثة المتغطرس ، بل ولكل عنوان يحمل الوصف والانتماء والمرجعية والاصالة ، ليتلهى المسلمون في معارك الثنائيات الخبيث و حروب الترف الفكري تحركه مخابر الحداثة وتسقط في ساحات معاركه الذمم وتذهب اعمار اجيالها في متاهات الاستنزاف والضياع والتيهان الحضاري ولتعمق الصدع الثقافي والحضاري بين سدنة الحداثة الماجورين واتباعهم وبين المقاومين الإنيين والامة وراءهم بعناوين متدحرجة بين "عروبيين وفرنكوفيل او انقلوفيل "ثم حداثيين ورجعيين انتهاء عند " لائكيين وارهابيين ببساطة وبجرة قلم والمشهد العام ينتهي للصراع بين الادب الاسلامي من جهة والادب غيرالمؤدب من جهةأخرى

والغريب انه لما بدأت الصحوة الجديدة مع مطلع القرن العشرين مع ظروف الاستقلال في العالم الاسلامي ،برزت دعوة أعلام الفكر العربي الى التنوير في إطار رؤية قومية لتحصيل علوم الحداثة الغربية بهدف تحقيق ماحققته في الغرب من نهضة وازدهار كما قالوا
وقد كانت الاستيراتيجية واحدة لكن التكتيكات المرحلية كانت موزعة حسب ظروف وواقع كل منطقة اسلامية وتوجه الوعي الاسلامي فيها ، وقد انتشرت عناوين الحداثة والتنوير تنخرالعقل و الوعي العربي وعلت اصوات الحداثيين –العلمانيين ،المتنورين -برفض الماضي والتشكيك فيه ووصل الامر الى تجريمه وحمل لواء ذلك الاسماء نفسها بالطروحات نفسها في المشرق العربي اولا ثم المغرب العربي انتهاء ، وجرى التفاعل ليكون الحصاد تعميقاً للشعور بالدونية إزاء الآخر، أو عزما على التحدي على أساس من الندية في إطار مقارنة مع المجتمعات الأخرى. وكرس ذلك في كل المجالات بما فيها التعليم والمناهج

وحري بالاشارة أن نذكر هنا مثالا يوضح مدى الأثر الراسخ لآلية نقل المعارف من الغرب واصطناع صورة الآخر في الانحياز أيديولوجي، أو لنقل صورة الأنا والآخر (الغرب والشرق) كوجهين نقيضين. ذلك أنه عند مناقشة ترجمة كتابي "أثينا إفريقية سوداء" تأليف مارتن برنال؛ و"التراث المسروق" تأليف جورج جيمس في ندوة في المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، وضح أن عددا من الأكاديميين كانوا أعجز من أن يستسيغوا أو يتحرروا من الأطر المعرفية الغربية المنقولة عن الغرب، واغتذوا عليها خلال فترة دراستهم الأكاديمية في ظل الاستعمار. والغريب أن هذه هي

الأطر ذاتها التي تخلى عنها وأدانها كثير من الباحثين الغربيين في الدراسات والمراجعات النقدية التي راجت مع وبعد ثورة الشباب في السبعينيات.

فالذين انبهروا بالحداثة الغربية -من المثقفين العرب - ، تبنوها تماما كما تبنوا العلمانية الغربية وهما من إناء واحد - ودعوا إلى سلوك طريقها في نهضتنا، كما حدث للغربيين في نهضتهم وقالوا عن علاقة الدين بتدبير الدولة والمجتمع والعمران: يا بُعد ما بين السياسة والدين[6]. "إن السياسة شيء والدين شيء آخر" ثم انتقلوا الى "إن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسة ولا قواما لتكوين الأوطان"[7].

فلقد كانوا هم الذين نظروا إلى الاسلام بمنظار نصراني –فسووا– في علاقة الدين بالدولة والسياسة بين الإسلام والنصرانية، كما نظروا إلى تراثنا وحضارتنا، وإلى «العقل الشرقى المسلم الذي أبدع هذا التراث وصنع الحضارة، بمنظار غربي.. فرأوا الخلافة الإسلامية كهانة مستبدة تحكم بالحق الإلهى المقدس ورأوا في العقل المسلم عقلا يونانيا، منذ القدم، ونظروا الى القرآن –عندهم- كالإنجيل، والإسلام –عندهم- كالنصرانية، ومحمد –صلى الله عليه وسلم --عندهم- كان كالخالدين من الرسل، لا شأن له بسياسة الدولة أو تدبير الاجتماع أو بناء العمران؟!.

لقد ضُربت عقولهم في مصانع الفكر الغربي، فقالوا: إن العقل الشرقي هو -كالعقل الأوربى- مرده إلى عناصر ثلاثة: حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن، وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه، والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان». وكما لم يغير الإنجيل من الطابع اليوناني للعقل الأوربي. فكذلك القرآن، لم يغير من الطابع اليوناني للعقل الشرقى، لأن القرآن إنما جاء متمما ومصدقا لما في الإنجيل [8]. وإن الحضارة العربية والحضارة الفرنسية – الغربية عموما -يقومان على أساس واحد، هو فى نهاية الأمر الحضارة اليونانية اللاتينية [9]».

وإذا كان هذا «التغرب» أمرا قابلا للتفسير دون التبرير، فإن الأمر الذي يبلغ في الغرابة حد «الكارثة» هو الموقع الذى قادت إليه كل من الحداثة والعلمانية بعضا من المثقفين العرب الذين تمذهبوا بمذهبها، موقع التبعية للحضارة الغربية الغازية، والولاء للمركزية الغربية العنصرية. بل وإعلان التسليم والاستسلام لإرادة الغرب في استلابنا واحتوائنا وإلحاقنا بنموذجه الحضارى فى الإدارة والحكم والتشريع، وينقل قضية تبنى الحداثة في بلادنا إلى مستوى آخر. فالقضية تتجاوز الانبهار الى التماهي وتنتقل من دائرة الاختلاف في الفكر، لتصب -بوعى أو بغير وعي– في خانة التفريط في الاستقلال؟!

ويمكن التمثيل بنموذجين من المشرق والمغرب العربيين للتدليل على التماهي اللامشرط في الحداثة الغربية بل وجعل ذلك الشرط الاوحد لتحقيق التنوير في العالم الاسلامي فقد كان اعلان طه حسين (1889 - 1973م) بصفته الرسمية لكونه على رأس اخطر وزارة في أي بلد فما بالك بالبلد

---

6. علي، عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة مصر، 1926م، ص69.

7. طه، حسين. مستقبل الثقافة في مصر، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2014م، ص 23-24.

8. انظر: المرجع السابق نفسه، ص 27.

9. طه، حسين. من الشاطئ الآخر، كتابات طه حسين الفرنسية التي جمعت وترجمت بعد وفاته، جمعها وترجمها: عبد الرشيد صادق، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الهلال، 1997م، ص 258.

الاسلامي –حيث كان وزيرا للمعارف - الالتزام أمام أوروبا باعتماد مذهبها في الحكم، والإدارة، و التشريع.[10] ،و تجاوزفي ذلك الإنبهار بالغرب، الى الالتزام بما سعت أوربا إلى إلزامنا به [11] وكلماته تذكرنا بكلمات موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام جمال الدين الأفغاني، التي قال فيها: «لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها وطلائع الجيوش الغالبين وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل، ويفتحون الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم [12]»؟! فإسلامية الدولة وإسلامية القانون، فضلا عن أنهما من فرائض الإسلام، فإنهما من معالم الاستقلال الحضارى للأمة الإسلامية ولديار الإسلام.

أما محمد اركون وهو النموذج الاخر للتماهي في الحداثة في اقترانها بالعلمانية وفي نمط عملهما بالعقل فيجعلها شرطا لابد من دخول العرب والمسلمين فيه بل ويعلن حربا على ما يسميه بالإسلاميات التطبيقية على اساس انها استراتيجية تريد ان تقضي على الهيمنة الغربية (اي هيمنة الآخر والاستشراق معا) وتشكل عملية بناء هده الاسلاميات التي يصفها بالتعسفية في نظره مدخلا هاما لإعادة الاعتبار لقضية الاستشراق ورهانات التراث الملتهبة واسئلة الواقع الراهن .وبذلك فهو يحاول خلق مسار ابستمولوجي نقدي للقضاء على الذات الاسلامية وينتصر للآخر اعتمادا وتقديسا عبر اعتماد اسس ومفاهيم عقلية فكرية تنهج به نحو الحدث وبالتالي لابد من الانتقال الى المجتمع الاكثر ثقافة والاوسع ادراكا بحيث يخرج من كهفه المظلم الى النور

والحقيقة ان ماجاء في الديباجة لم يقتصر على مجال الادب وانما كان زلزالا عاما شمل كل مناحي الحياة في العالم الاسلامي ، ويمكن ان نصف به مجال الاعلام ومجال الاقتصاد والتربية والتعليم والسياسة وغيها لنقول كلها ، كلها وقد كان

رابعا : ما عجزت عنه الحداثة مع الأدب الاسلامي طبقته مع الإعلام الاسلامي

ففي مجال الاعلام ، يجب ان ندرك ان نشاته في العالم الاسلامي بشكله المعاصر قد تم بالتقليد المؤسساتي الاجرائي الذي استورد من عالم الاستعمار بان انشات وزارات الإعلام على شاكلة ما كان هناك في الغرب عموما في فرنسا او في بريطانيا في شكل استكمال صورة الدولة الامة التي قررمهندسو ما بعد الاستعمار ان تكون عليه كصورة منه في النظام االسياسي وهو ماتم في لحظة الاستقلال الصعبة والمستعجلة في البلاد الاسلامية حتى ان بعضهم وصفها بوزارات إعلام دون إعلام[13]نظرا انها كانت تحتاج الى المرجعية أو الفلسفة التي كان من المفترض ان تؤسس في منظورها وتسندها وتنبثق منها قوانين الاعلام وفلسفته فيما ينظم الممارسة والمضمون والشكل والخلفية والاطار والتاطير وهو الذي لم يبدا في التبلور الا في فترات متباعدة حسب ظروف كل دولة من دول العالم الاسلامي بينما تم التعامل مع مضامين قوانين الاعلام في كل دولة على ما كانت عليه وقت الاحتلال

10 - لقد قال : «التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوربا. وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال -(١٩٣٦م)- ومعاهدة إلغاء الامتيازات -(١٩٣٨م)- إلا التزاما صريحا قاطعا أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع؟» ،

11. انظر: عمارة، محمد. العلمانية بين الغرب والإسلام، الكويت، دار الدعوة للنشر والتوزيع، 1996م، ص 18.

12. (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني) ص 196، 197. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة، سنة 1968م.

13 - الزبير سيف الاسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985

لكن الذي يجب ان ندركه من جهة أخرى ان الاهتمام بالتاسيس لمرجعية الاعلام في البلاد الاسلامية قد نشا في الأساس بين يدي العلماء والمفكرين فيها ، وقد تداعوا الى المؤتمرات المؤسّسة لهذا المجال منذ الايام الاولى للاستقلال نفسها وأنشأت في ضوئه المنظمات العديدة كمنظمة المؤتمر الاسلامي ورابطة العالم الاسلامي 1962ووكالة الانباء الاسلامية ومنظمة اذاعات الدول الاسلامية ووضعت هياكلها وادارتها ومكاتبها ،وبدات تتبلور في اطارها التصورات والمواثيق والقوانين التي تحدد المرجعية العامة للاعلام في كل البلاد الاسلامية لتعبربصوت واحد عن الشعوب المسلمة بميثاق شرف أسلامي عام –الذي صدر فعلا تحت عنوان –ميثاق جاكرتا للاعلام الاسلامي – الذي يبدا من الشريعة الاسلامية وينتهي اليها استلهاما واهدافا وقضايا وتمويلا ورسالة واسلوبا وتحديات في مقابل ومواجهة الاعلام في مرجعياته الصهيوصليبية ، ومن المثير ان اشير ان المؤتمر الاول للإعلام العالمي الاسلامي وهو مالا يعرفه الا القليل جدا ، بل ولا يتحدث عنه أحد قد انعقد في سبتمبر 1980وقد حضره الرؤساء والوزراء والمسؤولون وتحدث فيه الملوك وحنى الجنرالات العسكريين من بلاد الاسلام [14]

فقد ركزت المادة رقم 03 –أ- ب- ج- د - ه- منه على وجوب التزام الاعلام الاسلامي بعفة الاسلوب فلا ينشر الصور الخليعة وكل ما يمس باثارة الفتن والاشاعات وسائر المهاترات ، ويمتنع عن اطاعة كل مايمس الاداب العامة او يوحي بالانحلال الخلقي او يرغب في الجريمة والعنف والانتحار او بعث الغرائز سواء بطريقة مباشرة او غير مباشرة ويمتنع عن نشر الاعلان التجاري في حالة تعارضه مع الاخلاق العامة والقيم الاسلامية [15]

وركزت المادة رقم 04 منه خاصة على التزام الاعلام الاسلامي بنشر الدخوة الاسلامية والدفاع عنها وتعريف الشعوب الاسلامية بعضها ببعض والاهتمام بالتراث الاسلامي والتاريخ والحضارة الاسلامية ومزيد العناية باللغة العربية ثم على احلال الشريعة الاسلامية محل القوانين الوضعية لاسترجاع السيادة التشريعية للقران والسنة والتعهد بالمجاهدة من اجل تحرير فلسطين واستنهاض الهمم لمقاومة التخلف في جميع مظاهره مما يحقق للامة الرقي وخاصة المناعة [16]

وقد حاولت منظمة عدم الانحياز منذ 1975ثم عبر منظمة اليونسكو في جهودها الانسانية المشرفة في الثمانينيات خاصة ان تكسر تحديات المنع التكنولوجي الذي اتخذته الدول الاستعمارية عن الدول الاسلامية غداة الاستقلال مباشرة لاهداف اقتصادية في الظاهر لكن لاهداف دينية ايضا نظرا لوضوح توجه الدول الاسلامية في تطوير طرق اعلامها الخاصة لتحقيق استقلالها وتدعيم مصادرها والمساهمة في انظمة الاتصالات والتعاون العالمي من جهة ثم لقوة الصوت الاسلامي تحديدا من خلال السعي لتحقيق نظام اعلامي جديد يركز على الخروج من السيطرة الثقافية والتلقين الثقافي الغربي الذي يسئ للثقافات الوطنية ويتعارض مع قيمها وصف ب"نظام عربي جديد للاعلام والاتصال " الذي من شانه ان يبقي على القيم ويحفظ الشخصية القومية ولا يعرض الشعوب المسلمة للمسخ وتشويه هويتهاالثقافية [17]

لكن الحداثة كان لها قرار اخر وفي مجال الفكر والادب عموما ومجال الاعلام تحديدا

ويخطئ من يركز في دراسة الاعلام ووسائله ان يحصره علي المجال المحلي دون التنبيه الى الاعلام الدولي منه في مفاهيمه ومنظماته ومناهجه ورسائله وأهدافه وخاصة في استيراتيجية تعامله مع الدول ، واذا كانت العولمة الاعلامية قد سهلت المقاربات الفكرية اليه ،والتكنولوجية منها قد نبهت الى بعض تلك المواضيع فان

---

[14]- المسؤولية الإعلامية في الإسلام ،محمد سيد محمد ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، - ص 354وما بعدها)

15- المرجع نفسه ص 357

16- المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المرجع السابق ص 357

17- ينظر مصطفى المصمودي ، المقدمة لمحمد الرميحي ، النظام الاعلامي الجديد ، عالم المعرفة ، 1985) ، ص 5- 12

الامر يبقى بعيدا عن الاهتمام والانشغال في العالم الاسلامي اكاديميا على الاقل [18]وفي مجال الأفلام والسنما ، فالاموال المليارية المبذولة فيها ليست للترفيه البريئ يقينا

ولذات الاهداف اهتم من بيدهم متابعة الافكار وتقييمها بما سموه بالاسلام الاحتجاجي والنضالي والمكافح والثوريليعملوا على تعطيله لانه يخرج من محضن الكلمة الى وسيلة التبليغ ،حين اتضحت ارادة الشعوب في الذود عن نفسها بذات الوسائل التي يتم بها تشويه صورتها واذلالها وضرب معاقل المناعة فيها بوسائل الاعلام التي تطورت وتنوعت وتمادت في عبور الفضاء والقارات ووصلت الى الغرفة والسرير، وكان ان منعوا وعطلوا تعليم القران الكريم في وقت الاحتلال واستمروا في تعطيله بعده وهذه المرة عن طريق حروب الحداثة وسدنتها من داخل الامة نفسها

ديباجة الملتقى تقول في فقرة ملخصة شاملة ، فقد حرص الدارسون والنقاد ـ في وقت من عصرنا ولا يزالون ـ على الاستجابة للفروض الوافدة لإبعاد الدين عن الأدب مستندين في ذلك على حجج واهية ،ترتبط بحرية الأديب أو الفنان وتنفتح على لا غائية الوجود ولا جدواه ، وتدور في عوالم العبث واللعب واللذة بالصورة التي يصبح فيها الأدب ترفا فكريا محجوبا عن الرؤية العرفانية التي لا تتسع عندهم إلا في السياق الأسطوري العجائبي الذي فتحت الآفاق حوله الحركات الحداثية بمختلف مشاربها والتي بنت سورا عاليا لأن لا يخترق الديني هذه العوالم التي تبناها الأدباء والنقاد العرب دون النظر إلى خصائص الإسلام ، وما يمتاز به عن غيره من الديانات والمذاهب التي تحجر على الفكر أو تحجب الرؤيا عن الفنان. ودون الالتفات إلى ما يحتويه تراثنا من كنوز تحتاج أن نعيد النظر في قراءتها وغربلتها وربطها بما يساعدنا على التجذر والانتشار وإثبات الهوية العربية الإسلامية بوسائل مختلفة يكون الأدب الإسلامي واحد من وسائلها.

يمكن فقط ان تستبدل كلمة الادب بكلمة الاعلام ،وماكان من وسائل التشكيك والتعطيل والمنع للادب الاسلامي كانت هي الوسائل نفسها فكرة ومنطلقات واهداف واسماء انتهاء الى التجريم والتهمة لتبرير قرار التمكين للحداثة والتنوير التي تكشف كما شرحنا ان معانيها الحقيقة التي تشبعها لوحدها وهي الفوضى والعدمية والشذوذ وليس غريبا ان اصبحت الفوضى الخلاقة اداة من ادوات التفكير الاستيراتيجي وهدف من اهداف الاستيراتيجيات العامة للسياسة الخارجية لبعض الدول تجاه العالم الاسلامي

والحقيقة التي تبدت مع تبدد أتربة الهجوم في مراحله الاولى هي ان من يقف وراء هذا العنوان "الحداثة "الذي لم تحدد معانيه بعد ، هو نفسه من قرر تقسيم الكرة الارضة برمتها غداة سقوط غرناطة في 1492بين الكاثوليك والبروتستنت فقط وكان بعدها كل الذي كان وهومستمر الى اليوم باشكاله المختلفة في معاهدة لايتحدث عنها الناس ، هو من يسير العالم اليوم في اطار ما يسمى النظام الدولي

خامسا : بين العلاقة بين الأدب الإسلامي والإعلام الإسلامي ، من حضن الكلمة إلى منبر التبليغ والتعبير

لقد أصبح الإعلام في عصرنا صناعة متكاملة، تستخدم أحدث مبتكرات التكنولوجيا، وأكثرها تجاوبا مع ذلك، وأسرعها تطبيقا وممارسة، الأمر الذي جعل وسائل الاتصال في قمة ذلك التطور، حتى صار الذي يملك الإعلام هو الذي يملك مفاتيح الحضارة، ومن يملك المال هو الذي يسيطر

18- ينظر للاستزادة حول الموضوع : المسؤولية الإعلامية في الإسلام ، المرجع السابق ص 227وما بعدها)

ووسائل الإعلام فى حقيقتها الأساسية هى صانعة النجوم فى مختلف المجالات، ولم تتخلى وسائل الاعلام المختلفة عن دورها المنوط بها، ولكنها انحرفت عن أهدافها الاساسية وهى العمل على توعية الشعوب، بعد أن سيطر رأس المال على معظم المؤسسات الإعلامية، فمن يملك هو الذي يسيطر ، ولم يعد في الوقت الراهن ينظر إلى المحتوى وجودته فى الأغلب والا فيما ندر ، لذلك غابت عن الشاشة وصفحات الجرائد الصفحات المتخصصة فى مختلف فنون الآداب والفنون، واحتلت مكانها صفحات التواصل الإجتماعى التى أصبحت إعلاما شعبيا بين يدي كل مواطن، وما عليه سوى أن يفتح تليفونه المحمول ويسجل أو يصور واقعة، ورغم قوته فى توجيه الرأى إلا أنه تماهى وخفت وتبعثر وتاه

ولن يفيدنا كثيرا في موضوعنا البت في التفريق بين الإعلام والأدب أو عدم التفريق بينهما في المجرد ، وذلك ترف فيما اذا ادركنا ان كليهما دون انتماء اورسالية او مبادئ هو ملهاة وخصام لا طائل منه وخلاصته ان بعضهم يعتقد عدم الفصل بينهما و أنهما متلازمان و متكاملان والعلاقة بينهما تبادلية ،وهناك من يفرق بين لغة الاعلام ولغة الادب ويرى بان الفرق بينهما يكمن من حيث ان الإعلام مهنه والادب فن

ومهما اختلفت الآراء سيظل للإعلام مساحةً واسعةً من الاهتمام فهو يشكل سلطة القلم التي فرضت نفسها بقوة في كافة مجالات الحياة ، فلا معنى للأبجدية إذا بقيت الكلمة صامتة ولا معنى للإعلام اذا لم يفتح أبوابه ومساحاته الواسعة أمام العلم والمعرفة والإبداع

لكن هناك من يقدم الاضافة المطلوبة في موضوعنا انطلاقا من مقولة "هل الأدب للأدب ام الأدب للناس " ويمكن أن نعرف من خلالها حجم وأهمية علاقة الأدب مع الإعلام.. .
وكما هومعروف في أوقات المحن والحروب يكون الأدب فعل مكمّل البندقية..ولكن عندما تصل فكرته من خلال الإعلام لعدالة القضية او الموقف الذي من أجله نحارب.. وكم من قصيدة او خطاب أدى رسالة اعلامية كبيره عبئت شعب باتجاه الانتصار..وباختصار يجب ربط الفكر بالممارسة والفكر بالأدب..والممارسة بالإعلام

وقد تكون نجومية الإعلام هي الطاغية، لكنها نجومية عارضة، بينما البقاء للإبداع والكتابة الرصينة والتميز. الإعلام مهنة، والإبداع في الإعلام هو إبداع مهني ايضا، الكثير من الادباء حقق فيه نجاحات لكنه ينتهي بانتهاء ممارسة المهنة، بينما الإبداع الأدبي والفني هو إبداع جمالي وفكري وروحي وهو الأبقى وهذا ليس انتقاصا من الاعلام ودوره الخطير خاصة في هذه المرحلة الزمنية في كل بقاع الارض.

ويكون دور الاعلام بالنسبة للادب ببعض مايلي :

1 - في نشر الأدب المقاوم – ليكون له الدعامة الأساسية التي تمكنه من الوصول إلى أكبر عدد من الجمهور

2 - تسليط الضوء على النصوص والكتب التي تدعو إلى المقاومة والتحرر ومكافحة الظلم والاستبداد،

3 - تسليط الضوء على حياة الكتاب والشعراء الذين اتجهوا نحو هذا النوع من الأدب، وعلى الأحداث والظروف التي دفعتهم إلى الكتابة في هذا الاتجاه

4 - وتوجيه الرأي العام نحو القضايا المتعلقة بالمقاومة. التأثير عليه بالتركيز على القضايا الاجتماعية والسياسية التي تحفز المقاومة والنضال، ونشر التقارير والمقالات حولها .

5 - إبراز أهمية الثقافة والفن في تعزيز الوعي الثقافي والسياسي وتعزيز النضال .

6 - ومن خلال العمل المشترك بين الأدب المقاوم والإعلام يتم إبراز القضايا الهامة التي تؤثر على المجتمع وتساعد في تغيير الوعي العام لتلك المشكلات،...

خاتمة مفتوحة : وحداثة المدفع والنار

في منتصف القرن العشرين سجلت طالبة أمريكية من أصول المانية اسمها – Frances Stonor Saunders - [19] –في إحدى الجامعات الأمريكية المرموقة -اوكسفورد -عنوانها "الحرب الثقافية الباردة "وانجزتها في 600 صفحة تقريبا ،ولما نشرتها في 1995 وضعت لها عنوانا مستفزا هو "من يدفع للزمّار " -Who Paid the Piper?" [20]ومضمون كل الصفحات الطويلة كان للبحث والإجابة عن طريقة هيمنة أمريكا على ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية عن طريق المسرح والأغاني والموسيقى وغيرها من الأدوات التي يبدو منها في الظاهر انه لا علاقة لها بالسياسة ولا الجانب العسكري ولا الاستخباراتي ، لكن الثابت وهو عكس ذلك تماما بل ان الكل واحد رغم اختلاف الادوات والوسائل والوجوه والشعارات ووووو، وقد تعرضت الطالبة لمحاولة اغتيال من طرف "FBA" ودبّر لها حادث سير هي ومحاميها ، ورفعت عليها "CAA" دعوى امام القضاء لانها قدمت طلبات لاستخراج وثائق تعتبرها سرية –مواد الأفلام والأغاني والموسيقى التي اعتمدتها للتحليل والاستدلال في أطروحتها للدكتوراه –

والمفيد ان نعرف ان الكتاب منشور تحت عنوان "من يدفع للزمار "ولهذه الدكتورة المجدة التي تحولت الى مخرجة ومقدمة برامج مشهورة في بريطانيا والعالم ونشرت كتبا اخرى في الاتجاه نفسه منها من يقود الرقصة ؟ " " Qui mène la danse " [21]والأيادي الخفية ""

[19] نظر موقع : https://fr.wikipedia.org/wiki/ تاريخ التصفح : 10 2 2024

[20] - Who Paid the Piper?: CIA and the Cultural Cold War (paru en 1999, traduit en français en 2003

[21] - Qui mène la danse ? La CIA et la Guerre froide culturelle, Denoël, 2003.

Hidden Hands "[22] التي شرحت فيه بالنماذج والادلة الصارمة لاذرع الحداثة واشكالها الكثيرة المتنوعة والتي يلخصها علماؤنا الذين يتم تجاهل جهودهم قبل هذه وغيرها في عنوان الحداثة والمدفع او العلمانية والمدفع [23]او المدفع والتنوير لتبقى القوة واستخدام القوة هو الحاسم في في معركة الأفكار تماما كما في الحروب

فهل سيرشد الادباء العرب ويتوبون عن ذنوب الحداثة اللاهية الملهية ام سترشد الحداثة بعد اهوال العالم الذي لايعلم احد اين ستقوده بفوضى الحواس والفوضى الخلاقة والاكيد ان العدمية والعبثية التي تلازم من يقود عالم البشر اليوم من أجل مصالح ستنتهي بنهايته او بنهايتها لان دوام الحال من المحال فالتغيير الانساني لا يتامل الا من المتشبعين بالمبادئ والقيم التي لا وجود لها ولا تستلهم وتستقى الا من الاسلام الدين الحق وكتابه الصادق ونماذج اتباعه الذين لا يضاهيهم في التاريخ احد ولا يزالون مضرب المثل

جانب من المراجع

1 – محمد عمارة ،العلمانية بين الغرب والإسلام، الكويت، دار الدعوة للنشر والتوزيع، 1996م، ص 18.

2 - (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني) ص 196، 197. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة القاهرة، سنة 1968م.

22 - Hidden Hands: A Different History of Modernism, réalisé pour Channel 4 en 1995

[23]- عمارة، محمد. علمانية المدفع والإنجيل التحالف غير المقدس بين المدفع العلماني وإنجيل المنصرين، الإسماعيلية، مكتبة الإمام البخاري، 2007م،

3 - طه، حسين. من الشاطئ الآخر، ترجمة: عبد الرشيد صادق، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الهلال، 1997م،
4 - المسؤولية الإعلامية في الإسلام ،محمد سيد محمد ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،
5- علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، الطبعة الثالثة، القاهرة، مطبعة مصر، 1926م
6 - طه، حسين. مستقبل الثقافة في مصر، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2014م،
7 - مصطفى المصمودي ، المقدمة لمحمد الرميحي ، النظام الاعلامي الجديد ، عالم المعرفة ، 1985)
8 - الزبير سيف الاسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985
9 - الحركة النقدية عبر العصور الأدبية المختلفة - أسماء أبو حديد - 6 أكتوبر 2022 ، أنظر موقع : https://mawdoo3.com ، تاريخ التصفح : 9 -2- 2024
10 - النقد العربي الحديث والمعاصر"، ديوان العرب، تاريخ التصفح 08 /2/2024.
11 - عمارة، محمد،علمانية المدفع والإنجيل التحالف غير المقدس بين المدفع العلماني وإنجيل المنصرين، الإسماعيلية، مكتبة الإمام البخاري، 2007م

12- Frances Stonor Saunders ; Hidden Hands: A Different History of Modernism, réalisé pour Channel 4 en 1995

13 -Who Paid the Piper?: CIA and the Cultural Cold War (paru en 1999, traduit en français en 2003

14- https://fr.wikipedia.org/wiki/

15-Qui mène la danse ? La CIA et la Guerre froide culturelle, Denoël, 2003.